

مقاربات حول أساسيات الثقافة العربية بين الموروث الشعبي والتراث والفلكلور

Approaches on the basics of Arab culture between folklore, heritage and folklore

ملیكة سعداوي*

جامعة باتنة 1

<https://orcid.org/0009-0001-2550-514x>

malika.saadaoui@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2023-03-30

تاريخ القبول: 2023-05-25

ملخص:

نستعمل كلمة موروث أحيانا كثيرة، وفي مواقف أخرى نطلق مصطلح تراث وفلكلور، هذه الكلمات شأن كلمات كثيرة نرددها دون التزام بتدقيق المعنى، أو اعتراف بما يطرأ من تغير حركة الزمان، وإن حاولنا أن نسأل عما يعنيه كل مصطلح، سنجد إجابات شتى ورؤى متباينة، كل يشير إلى ما يبرر نظريته، على الرغم من أن الاتفاق على المدلول ضمان لوحدة التواصل، وما يمكن قوله عن إشكالية المصطلح بين التراث والموروث والفلكلور أن المدلولات ليست جامدة، بل هي فكر متطور خاضع للحركة المستمرة واستحضار التراث هو إلحاح من أجل قراءة الماضي للحاضر مع تباين في درجة الاستفادة من المادة التراثية.

الكلمات المفتاحية: مادة تراثية ؛ إشكالية ؛ مصطلح ؛ ثقافة ؛ عربية.

Abstract:

We often use the word 'inherited' and the terms heritage and folklore. These three words, like many words are sung without a commitment to audit the meaning without recognition of what occurs to this whole change in the movement of time. If we try to figure out the meaning of every word, we will find thus various answers and different views, each of which refers to what justifies its point of view, despite the fact that the agreement on the meaning ensures the unity of the language of dialogue. What we can say about the problematic term between the concept of popular tradition, heritage and folklore is that no matter how different they are in terms of their terminology, the implications are not static but are on an ongoing thinking subject to the ongoing movement according to each era. As evoking this heritage is urgent in order to actually read for the present with the variation in the degree of benefit from this article of heritage.

Keywords: Article heritage; problematic; terms; Arabic; culture

تراثنا وموروثنا الشعبي هما هويتنا الحضارية وأصالتنا أمام الأمم بهما يعرف المجتمع وإلهما تستند ثقافة البلد دون أن ننسى فلكلورنا الذي نتباهى به قولاً أو فعلاً، لكن هذه الكلمات الثلاث التراث والموروث الشعبي والفلكلور شأنها شأن كلمات كثيرة نردها دون التزام بتدقيق المعنى وتحديد المضمون وبيان الإطار الذي تحتويه، ودون اعتراف بما يطرأ على هذا كله من تغيير وتغير وصراع المجتمعات أو ما تضيفه العلوم من معطيات جديدة أو ما تشير لنا عن مناهج بحث، هكذا تبدو معركتنا عند التحديد والتدقيق هي صراع حول موضوع تعددت وتباينت فيه المفاهيم وأصبحت مصدراً للدرس الحدائي، ونزاع حول اختلاف وجهات نظر الباحثين على إعطاء مفهوم دقيق للمصطلح بذاته، فالحديث عن الموروث الشعبي أو التراث أو الفلكلور يقتضي بالضرورة مناقشة هذا الجدل الدائر لدى العديد من المختصين والباحثين في هذا المجال عن إشكالية المصطلح، هل نستعمل اصطلاح التراث الشعبي أم الموروث الشعبي أم الفلكلور؟ وما هو دور وأهمية هذه المكونات التراثية في الحفاظ على هوية وثقافة الأمة العربية؟

1- ماهية التراث الشعبي

1.1- التراث الشعبي: التراث عندنا هو ذاكرة الأمم والشعوب، بل هويتها وحضارتها تاريخها وماضيتها، دون ماضي لا يكون هناك حاضر مشرق يستمد من ماضيه، ويقوم بتطويره ويعرف الأمم والشعوب طريقة عيشها وثقافتها وحياتها اليومية كيف عبروا عن أفراحهم وأحزانهم وعاداتهم وتقاليدهم، وإن أضفنا إلى الكلمة سيلاً من الصفات وحاولنا أن نسأل كل من يفرط في الحديث إلينا عن التراث واعتاز به وتقديسه له عما يعنيه؟

سنجد بالتالي إجابات شتى ورؤى متباينة وحدوداً متباعدة وأطراً مختلفة وربما متناقضة وعموميات لفظية كل يشير إلى ما يبرر نظريته إلى الحياة، ويتسق مع نطاق معرفته ويولي مصالحه ويتجانس مع أسلوب تنشئته فكرياً واجتماعياً، بمعنى أننا نمضي في الحياة وليس لنا إطار فكري مشترك ولا نملك معايير متفق عليها للحكم على أي ظاهرة أو موضوع بحث وهكذا تتردد كلمة التراث على لسان العامة والخاصة في كل مكان دون تحديد لمعنى دقيق متفق عليه بين الجميع، على الرغم من أن الاتفاق على المدلول ضمان لوحدة لغة الحوار وتحديد المعنى لا يكون اعتسافاً أو اجتهداً قائماً على فطنة فردية أو براعة لفظية، فمن المعلوم أن كلمة التراث تداولها كثير من المفكرين وتناولوها بمفاهيم متعددة كما أنها أصبحت مصدراً للدرس الحدائي نظراً لما تحمله من كلية الثقافات الموجودة في المجتمع فمعناه أوسع يشتمل على الدين واللغة والأدب والعقل والفن والعادات والأعراف والتقاليد....

والتراث كما يراه المؤلف بوجمعة بوبعوي، وكما يؤكد الباحث طارق زياد هو "حضور الأصل أي الأب (الماضي، السلف) في الابن (الحاضر، الخلف)، وله مفهوم واسع: الأول يقصره على الناحية المادية ممثلة في الكتب والمكتبات، والثاني يجعله من الناحية المعنوية ممثلة في القيم التي تؤثر في الحاضر والسلوك الناتج عن تلك القيم"²

كما أن بعض الباحثين والمختصين يرون بأن التراث يحتوي على جانبين:

- أولهما الملموس المادي الذي أنتج في الماضي من طرف السلف من مبان ومدن وأدوات وملابس وغيرها من الأشياء المادية الملموسة التي لها زمن قديم وتعد تراثا تركه لنا الأجداد.

- وثانيهما التراث غير الملموس من معتقدات وعادات وتقاليد وطقوس ولغات...وهو ما يطلق عليه الموروث الشعبي، فالحفاظ على هذين العنصرين حفاظ على هوية الأمة وذاكرتها ومنتجاتها، التي نستطيع من خلالها أن نتعرف على ماضي هذه الأمة وحضارتها فيه تتميز وتباين الأمم جميعا، وبوصف التراث هو ميراث يتركه أو يخلفه السلف كأى شيء آخر مادي أو معنوي، فهو يمثل ركنا من أهم أركان الهوية التي تعرف بها المجتمعات حيث يعطي لكل أمة أو دولة صبغته الخاصة به من نمط معيشي شعبي واجتماعي إلى ثقافي فني متنوع وصولا إلى اعتقاد ديني وطابع عمراني وكل ما يتعلق بماضي الأمة مصبوغا بحاضرها، من هنا نجد توافقا مع محمد قجة، هذا الأخير الذي يتحدد مفهومه ورؤيته للتراث بوجهين رئيسيين متقابلين، "أحدهما مادي مرتبط بجوانب الحياة وثانيهما روعي مرتبط بالمعتقدات والأساليب الفكرية:

-الوجه المادي: ويشمل عديد الجوانب الحياتية التي تركها الإنسان القديم وراءه، والتي تعبر عن فلسفة عصره ومقتضيات عيشه بكل أبعاده وتجلياته، ويتضمن فن العمارة والمخطوطات المتبقية التي خلفها الأسلاف من مفكرين وأدباء وغير ذلك، سواء ما كان منها إراديا يهدف إلى أرشفة تاريخية أم غير إرادى ألزمته الحتميات الاجتماعية والطبيعة آنذاك.

-الوجه الروحي: ترسم تقاسيمه منظومة القيم والعادات والتقاليد والأعراف، إلى جانب التواتر الشفهي للثقافة المنقولة عبر الأجيال من أمثال وحكم وأقوال مأثورة، وقصص وأساطير وحكايات شفوية

² بوجمعة بوبعوي وآخرون، (2007)، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، ص 10،2.

وخرافية وأغاني تتميز بها بقعة جغرافية ما، ويعيش عليها مجتمع بشري معين في فترة زمنية مقررة، ويمثل هذا الوجه الناصية الحققة للأمم والمجتمعات في مسيرتها للمحافظة على أصالتها وانتمائها الحضاري³ فمما قيل نلاحظ أن التراث الشعبي شامل لكل النواحي الإبداعية سواء أكانت مادية أم معنوية تركها السلف للخلف دون أن يقتصروا على ترك شيء محدد، فالتراث ليس مجرد دراسة الثقافة الروحية للشعب، بل إنه أكثر التصاقا بثقافته المادية بأوسع معانها.

2.1- أهمية التراث الشعبي في الحفاظ على الثقافة العربية: إذا أمعنا النظر وأعملنا العقل وجدنا أن التراث الشعبي لعب دورا كبيرا في بناء حضارة الأمة وتواصلها في مختلف مجالات الإبداع الفكري وانتاجات مبدعيها، فهو بمثابة المرآة العاكسة لثقافة أمة أو شعب ما، إذ يشكل جزء كبيرا من المعرفة التي جمعها البشر ويوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث، وعلى هذا الأساس يعد التراث الشعبي علما قائما بذاته يعرفنا على ماضي أجدادنا وكل مخلفاتهم بمختلف أشكالها وتنوعاتها بين مادية ومعنوية، والغاية من دراسته فهم وظيفته الاجتماعية في حياة الإنسان، الذي عبر عن تطلعاته وتفسيره للمجتمع الذي يعيش فيه، معللا بذلك مختلف المظاهر سواء أكانت طبيعية أم اجتماعية أم اقتصادية بالأسلوب الذي يراه أكثر ملاءمة ودقة لإدراكه وفهمه لها، وهذا ما تجلى في دراسة مختلف التوظيفات التراثية في الأجناس الأدبية.

والتراث يضم التاريخ والذاكرة الشخصية التي تلون أجيال الأمة، غير أنه لا يمكن الخلط بين مصطلحي التراث والتاريخ، "فإذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري، فإن التراث هو الماضي في بعده التطوري موصولا بالحاضر ومتاخلا فيه"⁴، فتستخدم مواد التراث الشعبي والحياة الشعبية في إعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة للأمم والشعوب وتسهم أيضا في إبراز الهوية الوطنية والقومية والكشف عن ملامحها، وهذا يعطي التراث الشعبي ميزتي المرونة وقابلية التطور والتجدد من زمن إلى زمن آخر، وينتقل من جيل إلى جيل، لذا يجدر بنا في هذا المقام أن نتحدث عن الأهمية التي يكتسبها التراث الشعبي في الحفاظ على الثقافة العربية بصفة عامة، ونظرا لما يتصف به من قداسة، بوصفه شخصية الأمة وذاكرتها ومخزونها الثقافي، وهذا ما يراه فاروق خورشيد في حديثه عن أهمية التراث فيقول: "التراث ليس

³ محمد قجة، (دون سنة)، الحداثة والتراث، ع14، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، ص 4.

⁴ بوجمعة بوبعوي وآخرون، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، ص11، 12.

مجرد تراكم خبرات ومعارف وكتب، ولكنه اعتراف أمام الذات والعالم اعتراف بوجود واعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي...⁵

كما يحتضن التراث الذاكرة العربية في مختلف مستوياتها، سواء أكان مستوى اللهجة مثل استعمال اللهجة الشعبية الدارجة أم اللغة العربية الفصحى أم العمارة أم الموسيقى أم العلاقات الاجتماعية أم التاريخ المروي-المكتوب أم غير ذلك من المكونات، فقد أضى التراث حضوره ملحاً للاحتماء من الآخر وخاصة في ظل العولمة، من أجل تصحيح الوضع الراهن والحفاظ على مكونات ثقافتنا الشعبية، ويعدده محمد الدالي شيئاً من الماضي لا يزال موجوداً في الذاكرة الجماعية العربية، سواء أكان مدوناً موجود في الكتب أم مرويّاً يتناقل شفاهة، فهو يشكل - حسب نظره- جزء من تاريخها وثقافتها ونشاطها الإنساني.

1. 3-دواعي الاهتمام بالتراث الشعبي:

إن التغيرات التي تطرأ على كل أمة وباختلاف البلدان وفي مختلف المجالات سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم ثقافية تجعل الاهتمام بالتراث الشعبي ضرورة ملحة لكل دولة بوصفه هويتها وأصلاتها وحضارتها، لذا نجد الباحث هاني الزعبي يجيب عن التساؤل الذي طرح بخصوص دواعي الاهتمام بالتراث، فيقول: "إن هذه النزعات نحو تجديد التراث، قد ولدت مع مواجهتنا للآخر للاستعمار كرد فعل على مستحضراته المادية، وأن عملية إحياء التراث والتمسك بالتقاليد هي الوجه الضروري الآخر لنزعة التجديد والعصر لإثبات وجودنا التاريخي، فهل تكلم أجدادنا قبل الغزو الاستعماري عن تراث هو تراث أجدادنا، إنهم كانوا في بنية كلية إضافة إلى مواجهة الآخر، فإنه يعد رمزا لشخصية العربي"⁶.

والحق أن هناك أسباباً كثيرة دعت إلى ظهور هذا الاهتمام الجاد بالتراث نذكر منها:
-تذبذب الحياة الاجتماعية والسياسية نتيجة للاستعمار والخوف من القضاء على مختلف الموروثات للأمة وذلك من خلال الإحساس بأن الحياة الحديثة تهدد الموروث من العادات والتقاليد الأمر الذي ينبغي معه الحفاظ على عنصر الاستمرار في التراث الشعبي وكل ما يندرج ضمنه والذي يجسد مقومات وحضارة وثقافة الأمة.

⁵ طراد الكبيسي، (1978)، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، د ط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، الجمهورية العراقية، ص 4، 5.

⁶ أكرم قانصو، (نوفمبر 1995)، التصوير الشعبي العربي، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 8.

-ذيق الروح القومية والنزعة الوطنية، مما دعا إلى أن تزيد كل أمة من ارتباطها بتاريخها والمحافظة عليه.
-تقدم العلوم في مختلف الميادين وخاصة المجال الاجتماعي وتحول الأنظار في كثير من الميادين إلى دراسة حياة الإنسان العادي وتقاليد وفنونه.

2- ماهية الموروث الشعبي

1.2- الموروث الشعبي:

بعد أن تطرقنا إلى بعض المفاهيم والآراء حول مصطلح التراث، ومدى أهميته في صنع هوية الأمم والشعوب نتعرف الآن على مصطلح الموروث الشعبي، فماذا يقصد به؟ وهل يوجد اختلاف بينه وبين التراث؟

يقصد بالموروث الشعبي الحصلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية عبر الزمن التاريخي يتوارثها جيلا عن جيل من معتقدات شعبية وعادات وتقاليد وطقوس ...، ولا يزال الموروث الشعبي ينتظم حياة مجتمعنا ويؤثر فيه بل يسهم حتى في التعريف بالأمة وحضارتها لأنه منبع وجودها، من خلال أنماطه المتنوعة في المكان والزمان التي تنتظم في مجالات عدة من فنون الثقافة الشعبية سيما فنون الأدب الشعبي من أشعار وحكايات خرافية وقصص شعبي وملاحم وأمثال وألغاز وعادات وتقاليد وممارسات شعبية، وكذا فنون الموسيقى والغناء والرقص الشعبي الجماعي والألعاب الشعبية وما يتخللها من حركات إيقاعية وإشارات إيمائية فكل هذه الموروثات عبرت بصدق عن أصالة تاريخ الإنسان- الجزائري - عبر العصور وفي مختلف الفترات الزمنية التي تعاقبها جيل عن جيل وتمسك بالمحافظة عليها.

وفي ضوء المفهوم العلمي والمصطلح الدلالي للتراث الشعبي بوصفه كل ما هو موروث عن السلف من فكر وقيم ومآثر وفنون والمعبر عنها قولاً أو كتابة أو عملاً، فإن الموروث الشعبي في نظر المؤرخين الأوائل شيء يتصل بعامة الشعب، فهو "أشمل من التراث بل يحتويه ما دام يضم كل ما أنجزه الأسلاف وكل ما فكروا فيه"⁷.

ويرى فاروق خورشيد أن «التراث الشعبي جزء من الموروث الثقافي لأدبائنا وفنانينا، وهو أيضا جزء من الموروث الحضاري لأمتنا فلا بد من أن يترك بصماته على الإنتاج الأدبي»⁸.

⁷ محمد راتب الحلاق، (1997)، نحن والآخر، د ط ، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ، ص 46.

⁸ فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص6.

2.2 أهمية الموروث الشعبي: للموروث الشعبي أهمية كبيرة في بناء ثقافة الأمة والتعريف بها بل هو هوية بلد معين وتعد عملية حفظه والحصول على التراكيمات المعرفية والثقافية من أصعب المهام، ولذا يمكن اعتبار الموروث سلوكا متغيرا، فالمحافظة عليه تسهم في بناء الشخصية الوطنية والمحافظة على الهوية الوطنية واللغة من الضياع، فمن البديهي أن عبقرية أية أمة من الأمم تتجلى في موروثها الشعبي الملتصق بترتها والكاشف عن هويتها الحضارية والمعبر عن قيمها وسلوكها وموروثاتها الشعبية، فهو خزان لذاكرتها التاريخية وكنز من كنوز ثقافتها.

لذا تحدث خورشيد عن الموروث الشعبي بوصفه مكونا وعنصرا رئيسا للثقافة، هذه الأخيرة تتسم بمجموعة من الخصائص منها: «الشمولية والاستمرارية والتعقيد والتكامل والانتقائية، لأنها تنتقل من جيل إلى آخر بطرق واعية انتقائية القديم والجديد، وهكذا التراث الذي يتضمن الشمولية والاستمرارية بنقلهما تضيفان عليه طابع التأقلم مع الحيز المكاني ولكن في ذات الوقت يبقى الحيز المكاني خصوصي إلى درجة كبيرة وهو ما يميز التراث من قبيلة إلى أخرى ومن مجموعة بشرية إلى أخرى، أما الحيز الزماني فقد يؤدي إلى تغيرات لكن بعض الموروث الشعبي قد يحافظ على خصوصيته»⁹، فالموروث الشعبي ثمرة من ثمار النضال الدؤوب للإنسان في جدله مع نفسه أو مع الوجود، ولم تنضج هذه الثمار من فراغ أو من وهم أو من رغبة مجردة أو من هوس، بل كانت حصيلة تفاعل بين الشعب والمؤثرات الطبيعية وبين عوامل أيديولوجية وسيكولوجية في النفس البشرية ذاتها، التي أيقظت الإنسان، ثم البحث المستمر عن وسائل لاستمراره وفي هذا يقول عباس الجراري: «(التراث هو ذلك الإرث الذي وصلنا على مر العصور والأزمان والذي لا يزال ماثلا في حياتنا في جميع ما أنتجه عقول الأجيال السابقة، وما أوحى به قلوبهم من علم وفنون وآداب، هي خلاصة حضارة هذا البلد وثمره عبقرية أبنائه، وهو نوعان أحدهما معطل في المتاحف والخزائن لا يحيا إلا بقدر ما انبعثت فيه من روح والثاني تضمه العادات والتقاليد والفنون وما إليها من المأثورات الشعبية ما زلنا نمارسها ونمدها بالحياة»¹⁰.

3-الفلكلور:

⁹ المرجع السابق، ص.6.

¹⁰ عباس الجراري، (1977)، من وحي التراث، د ط، المغرب، مطبعة الأمينية، ص.44.

غير بعيد عن التراث الشعبي والموروث نجد الفلكلور، الذي يمثل بكل ما يحمل من أنماط الحياة وأنواع إبداعية وسلوكية أهم عناصر التراث الشعبي وذلك لما يحويه من إبداعات ذات طابع جماعي، من هنا تنور المشكلة في صعوبة وضع تعريف دقيق للفلكلور وذلك بسبب سعة نطاقه وكثرة تنوعه وصعوبة الإحاطة به وتحديد العناصر المكونة لكل شكل من أشكال التعبير عنه، فبعد منتصف خمسينات هذا القرن عرف العالم العربي مصطلح الفلكلور معرفة عصرية، فرأى بعض الباحثين أنه من الأجدي تحديد الآثار الشعبية بمصطلح فلكلور وآخرون فضلوا كلمة أو مصطلح التراث الشعبي، وبعضهم استخدم المأثور الشعبي ومنهم من اختار الفنون الشعبية، وربط بعض الباحثين الفلكلور بالتراث الشفهي والبعض الآخر أدخلوا عليه المأثورات المادية معتبرين أن لا فرق بين التراثين الروحي والمادي فهما ركنا الثقافة الشعبية.

فالفلكلور يعد أحد عناصر المأثورات المادية، فكلاهما متوارث عن الأجداد ونابع من روح الجماعة وكثيرا ما نراهما متكاملين، فهو الجانب الروحي من التراث الشعبي، حيث أنه يشمل كافة وسائل التعبير الشعبية. ولو عدنا إلى أول من اكتشف هذا المصطلح - فلكلور - لوجدناه قد ارتبط بالباحث ويليم جون تومز "وكذا بجمعية الفولكلور الانجليزية التي أكدت هذا الاصطلاح بعد تأسيسها في لندن عام 1877، وقد وضع تومز هذا المصطلح ليشمل دراسة العادات والتقاليد والمعتقدات والآثار الشعبية، وكان من أهم أهداف هذه الجمعية جمع ونشر المأثورات الشعبية والأغاني الأسطورية والأمثال الشعبية أو الحكم المحلية والمعتقدات الخرافية أو الخزعيلات والعادات القديمة وغيرها، ومن هنا أطلقت لفظة فولكلور على كل ما تشتمله ثقافة الشعب، إنه منظومة ثرية ومنوعة تعتمد وسائل التعبير الشعبية بشتى أنواعها لدى أية مجموعة إنسانية كما أن هذه الوسائل تتوزع بين ما هو عقائدي وبحث وبين ما هو ثقافي ترفيهي ليدل على ما يتصل بالمجتمع في عاداته وتقاليده وطقوسه مثل الزواج والوفاة والختان والحصاد"¹¹.

فالفلكلور مصطلح غربي يعني التراث الشعبي، وكل ما يندرج تحت باب التراث من الفنون الشعبية المختلفة، والكلمة في التعريف اللغوي نجدها "مكونة من شقين folk وتعني قوم أو شعب و lore وتعني التراث والمعتقدات التقليدية وبمجمليها تعني التراث الشعبي وقبل الباحثون العرب استخدام مصطلح الفلكلور وحاولوا إيجاد مقابلا عربيا لهذا المصطلح الأجنبي يحدد خصائصه ومقوماته، واللافت للنظر على الرغم من أنه أي المصطلح قد استخدم كثيرا على نحو مطرد في كتابات المتخصصين وعلى ألسنة المثقفين وغير المثقفين وفي الخطاب الإعلامي والترفيهي بشكل أو بآخر، إلا أن الأمر ظل على نحو ما يحتاج إلى تحديد المقصود بالفلكلور أو بالمأثورات الشعبية أو التراث الشعبي في ثقافتنا العربية لأن التحديد هو الإطار

¹¹ بلحيا الطاهر، (2000)، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، د ط، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، ص10.

الحقيقي والأكثر واقعية لبلورة المفاهيم والمصطلحات ، فكل تعريف حي فاعل في مرحلة تاريخية يتحول مع الزمن إلى خبرة عامة أقرب إلى تجريدات الماضي ويحتاج الأمرين حين وآخر إلى إعادة النظر فيه وربما أدى ذلك إلى التعريف الأكثر تعبيراً عن واقع الثقافة وتطور الحياة ومن أشهر المصطلحات العربية التي شاعت في الاستخدام إلى جانب مصطلح الفولكلور، باعتبارها ترجمة حرفية له مثل حكمة الشعب وعلم الشعب أو باعتبارها معبرة عن مضمونه ومجال اهتمامه مادة وعلماء مثل الفنون الشعبية والأدب الشعبي والموروثات الشعبية ودلالة ذلك على موقف هذه الثقافة من الفلكلور¹²

وإذا رجعنا إلى قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور نجد أن مصطلح فلكلور له تعاريف كثيرة، ولكنها لا تخرج عن تعريف واحد، وهو "أن الفلكلور هو التراث الروحي للشعب وخاصة الشفاهي، فالفلكلور هو مخلفات الثقافة القديمة السابقة على التحضر أو الرواسب في البيئة الحضرية ويرى آخر أن الفلكلور هو الثقافة عموماً المنقولة شفويًا"¹³، فمهما اختلفت المصطلحات إلا أن المدلولات ليست جامدة، بل هي فكر متطور خاضع للحركة المستمرة تبعاً لكل عصر فالمأثورات الشعبية يحكمها قانونان أساسيان قانون الاستمرار وقانون نشوء البدائل.

بينما يرى أحمد رشدي صالح أن "أنواع المادة الفلكلورية هي الأسطورة والخرافة والحكاية والشعر والأقوال السائرة والأمثال والألغاز والأقوال السحرية والموسيقى والرقص والعادات والممارسات والمعتقدات والمهارات الفنية، وعلى هذا يكون الأدب الفلكلوري هو فن القول التلقائي العريق المتداول بالفعل المتوارث جيلاً بعد جيل المرتبط بالعادات والتقاليد"¹⁴، وهذا ما يتفق مع رؤية فوزي العنتيل للفلكلور، حيث ينظر إليه على أنه: "ذلك الجانب من ثقافة الشعب الذي حفظ شعورياً أو لا شعورياً في العقائد والممارسات والعادات والتقاليد المرعية الجارية في الأساطير وقصص الخوارق والحكايات الشعبية، والتي لاقت قبولا عاماً وكذلك الفنون والحرف التي تعبر عن مزاج الجماعة وعبقريتها أكثر مما تعبر عن الفرد، هو التراث الذي ينتقل من شخص لآخر وحفظ عن طريق الذاكرة أو الممارسة أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون"¹⁵.

¹² يوسف بيزيد، ماهية التراث الشعبي، (2006)، مجلة الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، ص 50.

¹³ ينظر: إيه هولكتراس، (1973)، مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، تر: محمد الجوهري، حسن الشامي، ط2، دار المعارف، مصر، ص 283.

¹⁴ أحمد رشدي صالح، (1971)، الأدب الشعبي، ط2، مكتبة النهضة المصرية، ص 16.

¹⁵ فوزي العنتيل، (1965)، الفلكلور ما هو؟، ط، دار المعارف، مصر، ص 65، 66.

وهذه لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب الاجتماعية تعرفه على أنه: "الإنتاج الفني شكلا وتعبيرا الذي تمارسه جماعة من الشعب صادرا عن وجدانها ونابعا من ذاتها وتقاليدها المتوارثة"¹⁶. فقد اختلفت وتضاربت المفاهيم حول الفلكلور، إذ نجد ألفردنت في كتاب الفلكلور ما هو؟ لفوزي العنتيل يعرفه بأنه: "أنثروبولوجيا تتعلق بالإنسان البدائي مستثنيا علم الأحياء من الأنثروبولوجيا ومستخدما كلمة بدائي في أوسع معانها، أما هارت لاند فقد رأى فيه: أنثروبولوجيا تعالج الظواهر النفسية للإنسان غير المتحضرة، هذا وقد أدخل كلاهما الفنون والحرف في اصطلاح الفلكلور، أما ستياورتج ليني فقد كان وحده الذي أصر على أن الفلكلور هو ما تعرفه الطبقات المثقفة عن العامة، ولقد لقيت هذه الآراء الثلاثة معارضة شديدة وكان المعارضون قد تمسكوا بأن الفلكلور رضي بزاوية في حقل الأنثروبولوجيا الشاسع وأنه يتعلق ابتداء بالموروثات من العادات البدائية والمعتقدات بين الأجناس، لأن الحاجز من وراء الفلكلور كان هو التراث، وقد حسمت المناقشة نهائيا حيث تحدد مفهوم الفلكلور بأنه دراسة مخلفات الماضي الذي لم يدون، ولو عدنا إلى تعريف ونظرة وليم جون تومز مكتشف المصطلح نفسه سنة 1846م لوجدنا أن تعريفه متسع نسبيا، يجمع في الواقع بين أشكال الخطاب المتنوعة من قصص وخوارق وأغاني وأمثال شبيهة في الممارسات المتعلقة بالطقوس وفي حياة الجماعة، فيما تهتم أساسا بالظواهر المتعلقة بالإنتاج الشفوي والفلكلور بالمعنى الواسع هو مجموع الإبداعات المنبثقة من مجتمع ثقافي ما، التي تستند إلى التراث وتعبّر عنها فئة أو أفراد ويعترف أنها تلي تطلعات المجتمع.

كنا قد ذكرنا سابقا أن اصطلاح فلكلور كان منذ البداية ابتداءا انجليزيا، وأشرنا أيضا إلى ترجيح ترجمته عن الاصطلاح الألماني، فقد استبدل المصطلح اليوناني ديموس demos الناس بكلمة folk، وقد استخدمت فرنسا الاصطلاحات الآتية ديمولوجي demologie أو ديموسيكولوجي demopsychologie وكان ذلك في سنة 1880م إذ استخدم جادووسيليه اصطلاح فلكلور وفي الوقت نفسه تقريبا دخل أيضا اسبانيا، أما في إيطاليا فقد كان مصطلح demologia هو المقابل لمصطلح فلكلور، وفي السويد ظهر اصطلاح الذاكرة الشعبية وتطور استعماله ثم استبدل الآن بما يشمل كلمة فلكلور.

ومهما يكن من أمر فإن اصطلاح الفلكلور قد احتل مكانا كل هذه المصطلحات المختلفة منذ مطلع هذا القرن، وعلى الرغم من ذلك فإنه ليس هناك اتفاق تام على ما تعنيه هذه الكلمة، ثم يقرر بأن الفكرة الشائعة في الوقت الحاضر هي أن الفلكلور هو التراث، لأن طبيعة الفلكلور تعني مجموعة من العادات

¹⁶ أكرم قانصو، (نوفمبر 1995)، التصوير الشعبي العربي، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 15.

والتقاليد، إلى جانب الآداب والفنون والعلوم الشعبية، وهذا يجعل المصطلحات خاضعة للتطور والتعديل خضوعها للتنقل من بيئة ثقافية إلى بيئة ثقافية أخرى، وأشار على بعض المعنيين بالفلكلور أن أوتر على مصطلح الفلكلور المأثور الشعبي ومنهم من ضيق الدائرة على الأدب الشعبي، ومنهم من وسع المجال بحيث يستوعب الفن الشعبي.

4- مفهوم مصطلح شعبي:

قد يكون من المفيد في هذا المقام أن نشير إلى كلمة شعبي، حيث يعاني هذا المصطلح في الأصل غموضاً والتباساً دلالياً إذا أخذ بالحسبان تعدد المعاني الذي يتميز به، فقد وردت كلمة الشعب في لسان العرب بمعنى: "الإصلاح والتفريق، وفي حديث ابن عمر: وشعب صغير من شعب كبير أي صلاح قليل من فساد كبير وشعبه يشعبه شعباً فأشعب فشعب، قال النابغة الجعدي:

أقامت به ما كان في الدار أهلها وكانوا أناساً من شعوب فأشعبوا

والشعب: القبيلة العظيمة وقيل الحي العظيم يتشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها والجمع شعوب والشعب أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم"¹⁷، ووردت بالمفهوم نفسه في القرآن الكريم لقوله عز وجل: "...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..."¹⁸.

"وقال ابن عباس -رضي الله عنه- في ذلك: الشعوب الجُماعُ والقبائل، بطون العرب والشعب ما تشعب من قبائل العرب والعجم وكل جيل شعب، قال ذو الرمة:

لا أحسب الدهر يبلي جدة أبداً ولا تقسم شعباً واحداً شعباً"¹⁹.

إذن يمكن أن نخلص من مفهوم الشعب كما ورد في لسان العرب أنها ترمز إلى المجموع والكل، فهي تعني أكبر الجموع البشرية ويمكن النظر إلى الشعب بوصفه مجموع الناس بطبقاتهم المختلفة وتنوع مشاربهم. ويرى عبد الحميد بوسماحة أن بعض المؤلفين والدارسين الذين يستخدمون مصطلح الأدب الشعبي لا يعطون جميعاً الدلالة نفسها لكلمة شعبي، فكلمة popular في اللغة الانجليزية تدل على الشيوع أكثر من دلالتها على كون الشيء شعبياً، فالشعبي يفترض الشيوع علاوة على العمق الزمني البعيد، ولكن الشيوع لا يدل حتماً على شعبية المادة، فأغاني مطرب مشهور اليوم قد تكون شائعة، ولكنها ليست بالضرورة أغاني شعبية، فالشعبي أمر يرجع إلى الشعب أو خاص بالشعب، ويعرف سانتيف saintyves صفة شعبي

¹⁷ ابن منظور، (1997)، لسان العرب، مجلد3، ط1، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 440.

¹⁸ القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية13.

¹⁹ ابن منظور، المرجع نفسه، ص، 439.

تميزا لها عن كلمة رسمي officiel بأنها ما يمارس أو ينتقل transmission بين الشعب مع استبعاد كل ما تقوم السلطة القائمة بفرضه أو تعليمه²⁰.

فمن خلال قول الكاتب ورأيه في المصطلح نلاحظ أن المصطلح الأقرب دلاليا لمصطلحنا العربي الشعبي، الذي يتوافق مع مضاميننا الاجتماعية والسياسية وحتى الأدبية السائدة هو مصطلح سانتيف الأصلي وليس في الواقع ترجمة لكلمة popular الانجليزية.

فبوسماحة ينظر إلى "الخلط في هذه الدلالة من سوء استعمالنا لكلمة شعبي، فهي في قاموس حياتنا اليومية تدل على كل ما هو أدنى الدرجات، فالقمّاش الرخيص يطلق عليه اسم القماش الشعبي والفول أساسي في الوجبات الشعبية والأحياء العتيقة والفقيرة في المدينة تسمى الأحياء الشعبية، كما أنه يطلق على كل نتاج أدبي مروي أو مكتوب باللهجة العامية أو باللغة الفصحى ويبرر موقفه هذا، بأن هذا الإطلاق الشائع ساذج، ولا ينبغي له أن يرقى إلى مستوى المصطلح النقدي الدقيق المفهوم الصارم، حيث أن الشعبي لدى عامة الناس يطلق تهجينا على كل ما هو مفتقر إلى الرقي والسمو، فكأن مثل هذه الاطلاقات تعني كل موروث سواء أكان راقيا أم رديئا ويلاحظ أن مصطلح الشعبي ورثه العرب عن علم الأنثروبولوجيا الذي تأسس بالغرب²¹.

وإذا عدنا إلى معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، لوجدنا أن أولى استعمالات كلمة شعبي كانت في أواخر القرن الخامس عشر بوصفه مصطلحا قانونيا، يمكن أن يباشر أي شخص الأفعال الشعبية في مختلف الحالات تصدر عن أفعال ومراتب جيدة، والفعل الشعبي لا يصح عن إنسان واحد بالذات بل على العموم على جميع ملكات الشعب أيضا، بينما يرى موسى الصباغ في كتابه القصص الشعبي العربي، أن أول معاني الشعبية هو الانتشار الذي يعود مصدره إلى الشعب، فبالإضافة إلى المعنى الذي أفاده مصطلح الشعبي- كما ذكرنا سالفًا- مجموع الناس، فإن هذا المصطلح قد أفاد معنيين على حد قول موسى الصباغ أي الانتشار والخلود، في حين نجد أن صفة الشعبي المشتق من الاسم الموصوف الشعب "تحيل إلى مفهومين مختلفين:

- جمهور أو عدد من الناس ينتمون إلى بلد واحد ويخضعون للقوانين نفسها أو بالتعميم مجموع الناس يشتركون في علامة مماثلة الدين الدولة الأصل الأرض.

²⁰ عبد الحميد بوسماحة، إشكالية المصطلح، مجلة الموروث الشعبي وقضايا الوطن، ص 24.

²¹ المرجع نفسه، ص 19.

- فريق من الأمة المعتبر على النقيض من الطبقات الأخرى حيث تتوفر إما بالزيادة في الثروة وإما في المعرفة²².

فمن خلال هذين المفهومين نجد تنوعا دلاليا للمصطلح نفسه، أحدهما يصر على العناصر الموحدة والمنتمية اجتماعيا إلى هيئة تضامنية تحكمها قوانين واحدة ونظم معينة، في حين يشير المفهوم الآخر عكسه حيث يعني التفاضل والتخالف والتباين والتمييز في تحديد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية، حيث ترتب على هذا التنوع الدلالي نتائج سواء في استخدام اللغة المتداولة، أو في خطاب المتخصصين في العلوم الاجتماعية، أو في المؤسسات والجمعيات السياسية والثقافية التي تتبناها الدولة.

وإذا عدنا إلى مفهوم مصطلح الشعبي لدى فوزي العنتيل، لوجدنا أن دلالة هذا الاصطلاح على "مجموعة اجتماعية يربطها تراث مشترك وشعور خاص بالترابط أساسه الإطار التاريخي المشترك"²³. وما يمكن الوصول إليه أن مصطلح الشعبي وإن اختلف مفهومه ورؤية كل كاتب إليه، إلا أن دلالاته تبقى واحدة، ألا وهي مجموع من الناس يشتركون في علامة مماثلة الدين والدولة والأصل والأرض، كما تجمعهم عادات وتقاليدهم وطقوس وممارسات.

الخاتمة:

من خلال المفاهيم السابقة بين التراث الشعبي والموروث والفلكلور نرى بأن مصطلح التراث واحد من المصطلحات الشاملة متداول في الكتب يأخذ دلالات وأبعاد وتصورات، لم تكن تخطر ببال القدماء بشق أنواعها وأشكالها المادية المكتوبة أو الشفوية، وعادة ما يكون هذا التراث مرتبط بالفنون والثقافة والفكر متشابكا ومتداخلا من الموروث الحضاري والبقايا السلوكية والقولية، وهو في حقيقته مادة غريزية تحمل تجارب الأمم والحضارات السابقة التي تصب في وعي الحاضر لفهم الواقع، ورسم سبل المستقبل ينتقل من بيئة إلى بيئة ومن مكان إلى مكان ومن بين النتائج المتوصل لها حول مقاربتنا لمصطلح التراث والموروث الشعبي والفلكلور نذكر:

- التراث الشعبي يبقى بشكل عام وبالمفهوم الإنساني المطلق المعين الذي لا ينضب وهذا ما ينطبق على مصطلح الموروث الشعبي، حيث تعدد فيه التعريفات وتختلف فيه وجهات النظر لدى

²² عبد الحميد بوسماحة، إشكالية المصطلح، مجلة الموروث الشعبي وقضايا الوطن، ص 23، 24.

²³ فوزي العنتيل، (1965)، الفلكلور ما هو؟، د ط، دار المعارف، مصر ص 65، 66.

الباحثين والمختصين، على الرغم من أن المعنى واحد، لكن يبقى التراث أشمل من الموروث الشعبي، لأن التراث يضم التراث الشفوي والمكتوب الرسمي والشعبي، كما أنه لم يقيد بزم محدد بل يشمل الحاضر والمستقبل فهو يشكل ذاكرة الأمة وتاريخها وشخصيتها.

- نجد أن التراث الشعبي يشمل كل الموروث على مدى الأجيال من أفعال وعادات وتقاليده وسلوكيات وأقوال، فأينما وجدنا تلك المواد التراثية، سواء أكانت عن طريق القول أم عن طريق الممارسة، فإنها قد ارتضيت واكتسبت دوامها ولم يعد - حسب رأي - يموت أي التراث في صدور حملته فقط، كما جاء في قول الناقد محمد جويلي: "رحلت جدي كما رحل العديد من الجدات تحمل في صدرها مخزوناً ثقافياً هائلاً من الأذكار والأشعار والأساطير والخرافات والأمثال وحكايات الأغوال والساطين وملامح الأولين وقصص العباييث وغيرها"²⁴

- بعد أن ذكرنا مختلف المفاهيم والاختلافات حول كلمة التراث والموروث والفلكلور إلا أننا حاولنا أن نقارب بين مختلف المصطلحات التي تحدثنا عنها سلفاً نظراً للوضع الراهن الذي يسود الأمة العربية وما يحدث فيها من متغيرات على مختلف المجالات حيث أصبح الحفاظ على المادة التراثية ضرورة ملحة من أجل الاحتماء من الآخر في ظل العولمة والتطور التكنولوجي، فاستعمال مصطلح التراث الشعبي يعني بصورة عامة مفهوم المصطلح الموروث الشعبي بل يضمه ويشتمل عليه بوصفه أوسع منه والمصطلح الأجنبي فلكلور، بصرف النظر عن الاختلافات التي أثارها الباحثون حول مدى انطباق المصطلحين على بعضهما، كما أن هذا الاستعمال لمصطلح التراث الشعبي لا يعني بالضرورة أنه ترجمة حرفية لمصطلح فلكلور، ويبقى مصطلح التراث الشعبي مصطلحاً شاملاً لكل من مفهوم الموروث الشعبي والفلكلور.

- المصطلحات الثلاثة التراث الموروث الشعبي والفلكلور ليست مجرد حروف مشكلة لنا كلمات ومصطلحات تتداولها في استعمالنا لها، بل مكونات بما تحمله في طياتها من كنوز تزخر بها كل أمة عربية، لأنها أساس تشكيلها ومكونا أساسيا لثقافتها الاجتماعية والتاريخية والثقافية... فما علينا إلا المحافظة على تراثنا بمختلف أشكاله وأنواعه ونقله من جيل لآخر مهما اختلفت مدلولاته.

²⁴ محمد جويلي، (2002)، أنثربولوجيا الحكاية، د ط، مطبعة قرطاج، تونس، ص 25.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

• الكتب

- 1-أحمد رشدي صالح، (1971)، الأدب الشعبي، ط2، مكتبة النهضة المصرية.
- 2-أكرم قانصو، (نوفمبر 1995)، التصوير الشعبي العربي، د ط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- 3- ايه هولكتراس، (1973)، مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، تر: محمد الجوهري، حسن الشامي، ط2، دار المعارف، مصر .
- 4-بلحيا الطاهر، (2000)، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، د ط، منشورات التبیین الجاحظية، الجزائر.
- 5-بوجمعة بويغيو وآخرون، (2007)، توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر.
- 6-طراد الكبيسي، (1978)، التراث العربي كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث، د ط، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، الجمهورية العراقية.
- 7-عباس الجراري، 1977، من وحي التراث، د ط، المغرب، مطبعة الأمانة.
- 8-محمد جويلي، (2002)، أنثريولوجيا الحكاية، د ط، مطبعة قرطاج، تونس .
- 9-محمد راتب الحلاق، (1997)، نحن والآخر، د ط ، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.
- 10-فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، ، ط1، دار الشروق، القاهرة.
- 11-فوزي العنتيل، (1965)، الفلكلور ما هو؟، د ط، دار المعارف، مصر.

• المعجمات:

- 1- ابن منظور، (1997)، لسان العرب، مجلد3، ط1، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

• الدوريات

- 1- محمد قجة ، (دون سنة)، الحداثة والتراث، ع14، مجلة الموقف الأدبي، ع14، سوريا.
- 2-يوسف بيزيد، ماهية التراث الشعبي، (2006)، مجلة الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مطبعة مزوار للنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر.

References:

- 1-Ahmed Roshdi Saleh, (1971), Aladab Alshaabi, t2, maktebet Alnahdha Almasriya.
- 2- Akram Kanso (November 1995), Altaswir alshaabi alarabi, d t, almajlis alwatani lilthakafa wa alfonoun wa aladab, Kuwait.
- 3-Aya Hulketras, (1973), mustalahet elethnolojya wa elfulklour, t r, Mohammed Aljawhari, Hassen Elshali, t2, dar almaarif, Egypt.
- 4- Belhya Taher, (2000), Alturath Alshabifi riwayat aljazairia, d t, manshurat altabyin aldjahidia, Algeria
- 5-Budjema Bubaayou and others, (2007), tawdif alturath fi alshiar aljezeiri alhadith, t1, matbast almarif, Annaba, Algeria
- 6- Trad Alkabissi (1978), alturTh alarabi kamasdar fi nadariyet almaarifa wa alina fi alshiar alarabi alhadith, d t, manshurat wizarat althahafa wa alfunoun, Baghdad, Iraq.
- 7- Abbes Aljezeiri, (1977), min way Alturath, d t, almaghrib, matbaat alamina.
- 8- Mohamed Djouili, (2002), anthropology alhikaya, dt, matbaat kattan, Tunis.
- 9-Mohamed Rateb Alhalak, (1997), nan wa alakhar,d t,manshourat Etihad kiteb alarab, Damascus.
- 10- Farouk Khourshid, almawrouth alshaabi, t1, dar elshorouk, Alkahira.
- 11-Faouzi Alantil, (1965), alfulklour ma houa? Dt, dar Almaarif,Egypt.

Dictionaries:

- 1- Lissen Alarab, (1997), mudjalad3, t1, Dar Sader liltiba wa alnasher, Bayrout, Lebanon.

Aldawriyet:

- 1- Mouhamed Kedja, Alhadatha wa Alturatha15, Majalat Almawkif Aladabia14, suriya
- 2- Youcef Beyzid, mahiyet Alturath alshaabi, (2006), majalat Almaourouth Alshaabi wa kadays alwatan, matbaat mezwat lilnasher wa altawzia, Elwed, Algeria